الخطب المنبرية

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله

خطبة الجمعة بعنوان

أسباب حسن الخاتمة

١٢ شعبان ١٤٤٢ هـ ٢٦-٣-٢٠٢١ م

أَسْبَابُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الملِك الحكيم، أحمده سبحانه الكريم الحليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رتب الأمور على أسبابها، وجعل في الكون سننا ثابتة وهدى بها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم نلقاه، **أما بعدُ**؛ فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أنكم ملاقوه، فدعوا المعاصي والزموا التوبة والاستغفار، حتى يأتيكم الموت وأنت من الأبرار، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

أيها المؤمنون: كما كان الخروج من بطن الأم مريرًا يشاهده كل ذي لب؛ فكذلك خروج الروح بل أشد بينما تخرج الروح من البد وموت الإنسان وخروجه من الدنيا إلى عالم البرزخ صعبٌ، ومريرٌ، يغفل عنه أهل الغفلة، ويعرفه أهل البصيرة، إنها اللحظات الأخيرة، والساعات المريرة، صفحةٌ أخيرة تُطوَى من حياتك، عليها ختم السعادة الأبدية، أو الشقاوة السرمدية؛ فموتُ الإنسان على عملٍ من الإحسان، مطلبٌ لأهل الإيمان، فكيف ندرك حسن الخاتمة، وبأي عملٍ نحصل هذه السعادة؟

وقديما قيل: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم وقد جاء أن العبرة بالخواتيم.

عبادَ اللهِ: جعل اللهُ لكل شيء سببًا، وسبب حسن الخاتمة بعد فضل الله تعالى وكرمه وجوده وإحسانه، أمورٌ لا بد من الحرص عليها وضبطها لننعم بإنعامه؛

السبب الأولُ وهو الأعظم: الإيمان؛ فعش به تمت عليه، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، نعم من عاش على التوحيد في قلبه وقالبه مات عليه، وبعث عليه؛ فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن كان آخِرُ كَلامِه لا إِلَهَ إِلَّا الله: دَخَلَ الجَنَّةَ» [رواه أبو داود وغيره، وهو حديث صحيح].

السبب الثاني: تقوى الله بفعل الواجبات، وترك المحرمات: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ فالزم التقوى سرًّا وجهرًا قطعا تكون من أهل الخاتمة الحسنة قطعا.

السبب الثالث: الاستقامة على العمل الصالح، والدوام عليه؛ فمن عاش على شيءٍ مات عليه؛ فاسمع البشارة لأهل الاستقامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

السبب الرابع: الدعاءُ والإلحاح على الله بخوف ورجاء أن يختم لك بحسن الختام، وأن يجعل خير أيامك يوم الختام، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يا مُقلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» [رواه الترمذي وحسنه].

السبب الخامس: حسن الظن بالله تعالى، وخاصة في آخر الساعات، وآخر اللحظات؛ فترجو سعة رحمته، وعظيم مغفرته، وسعة كرمته، وشمول جوده، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ].

أيها المسلم: عند الغرغرة: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝٢٨ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝٢٩ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ۝٣١ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۝٣٣ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۝٣٥﴾ [القيامة: ٢٦-٣٥] فمن صدّق وصلّى، وأقرّ وأذعن قبل حضورِ الأجل فليبشر بحسن الختام، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَمَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، **أَمَّا بَعْدُ**: فاتقوا اللهَ وارجوا حسن الخاتمة، واحذروا من الغفلات وعواقب الذنوب لا سيما في الخلوات، **أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ**: **السبب السادس**: مِنْ أسباب حسن الخاتمة: عدم

الغفلة عن هادم اللذات، الموتُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذّاتِ»؛ يَعني: المَوْتَ. [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وغيره، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ].

أَيْ عبادَ الله: السبب السابع: التوبة، وهي من أعظم أسباب حسن الخاتمة؛ فالفلاح مرتبط بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

واغتنموا ساعات عمركم، في التمهيد لأنفسكم، وتحسين طريقكم، وتقديم أرصدة الأعمال بين يديكم، فالمرءُ عند الله بما قدم، وبما قال، وبما اعتقد، وبما عمل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَقْتَنَى – وفي رواية: أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَيْت–، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ" [رواه مسلم].

أيها المسلمون: التزموا بالنصائح والتوصيات الصحية، والإجراءات الاحترازية، حتى تخرجوا من هذا الوباء بأقل خسائر بشرية، مع توبة واستغفار وصدقة لرب البرية، عله أن يدفع عنا الوباء، اللهم إن نسألك أن تدفع بلدنا خاصة الوباء وعن سائل بلاد المسلمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم اجعل هذا البلد آمنا وسائر بلاد المسلمين، واحفظها من شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، وأصلح له البطانة، اللهم إن نسألك مجيبات رحمتك وعزام مغفرتك وحسن الخاتمة،

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.